المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 21 آيار 2026
No.21 May 2026

المنفى وتمثلات الاغتراب في ديوان «نقوش على جذع نخلة» ليحيى السماوي

حنان طالب مهدي
مدرس مساعد- كلية الآداب جامعة الكوفة
الايميل : hanant.alabrahimi@uokufa.edu.iq

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة تمثلات المنفى وتجليات الاغتراب في ديوان «نقوش على جذع نخلة» للشاعر يحيى السماوي، والكشف عن الأبعاد الفنية والدلالية التي أسهمت في تشكيل هذه التجربة الشعرية. وينطلق البحث من فرضية مفادها أن المنفى لم يكن عند السماوي مجرد ابتعاد مكاني عن الوطن، بل تحوّل إلى تجربة وجودية شاملة انعكست في مختلف مستويات النص الشعري، فارتبط بالاغتراب النفسي والسياسي والاجتماعي ارتباطاً وثيقاً. اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي للكشف عن مظاهر المنفى والاغتراب في الديوان وتحليلها فنياً، من خلال دراسة صورة المكان المفقود وتجليات الحنين والذاكرة، فضلاً عن رصد مظاهر الانكسار النفسي وتمزق الذات والقلق الوجودي، وتحليل صور الاغتراب السياسي والاجتماعي المرتبطة بالاستبداد والاحتلال وانهيار القيم. وقد أظهرت الدراسة أن الشاعر استطاع توظيف المكان بوصفه رمزاً للهوية والانتماء، كما نجح في الإفادة من تقنيات الصورة الشعرية والرمز والمفارقة والتكرار والتناص لبناء خطاب شعري يجسد معاناة الإنسان العراقي في المنفى. وخلص البحث إلى أن ديوان «نقوش على جذع نخلة» يمثل وثيقة شعرية وإنسانية مهمة عبّرت عن مأساة المنفى والاغتراب، وأسهمت في تقديم رؤية شعرية تجمع بين البعد الذاتي والهمّ الجمعي، مما منح تجربة يحيى السماوي خصوصيتها الفنية والفكرية في الشعر العراقي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: المنفى، الاغتراب، يحيى السماوي، الشعر العراقي ، المكان الشعري ، النخلة .

١- المقدمة

يُعدُّ المنفى من أبرز الظواهر التي شكّلت التجربة الشعرية العربية المعاصرة، ولا سيّما في الشعر العراقي الذي ارتبطت مسيرته الحديثة بتحولات سياسية واجتماعية عاصفة دفعت كثيراً من المبدعين إلى مغادرة أوطانهم والعيش بعيداً عنها. وقد أفرزت تجربة المنفى إحساساً عميقاً بالاغتراب بأبعاده النفسية والاجتماعية والسياسية، فغدا الشعر فضاءً للتعبير عن آلام الفقد والحنين والبحث عن الهوية. ويُعد الشاعر يحيى السماوي من أبرز الشعراء الذين تجسدت في نتاجهم معاناة المنفى بوصفها تجربة وجودية وإنسانية عميقة، إذ انعكست آثارها بوضوح في ديوانه «نقوش على جذع نخلة»، الذي يمثل سجلاً شعرياً لتجربة الاغتراب وما رافقها من مشاعر الحنين إلى الوطن واستعادة الذاكرة ومواجهة واقع الخراب. ومن هنا تأتي هذه الدراسة للكشف عن تمثلات المنفى وتجليات الاغتراب في هذا الديوان، وتحليل الأبعاد الفنية والجمالية التي اعتمدها الشاعر في تشكيل رؤيته الشعرية، واستجلاء العلاقة بين التجربة الذاتية والواقع الجمعي الذي عبّرت عنه قصائد الديوان..

1-1 مشكلة البحث

ينطلق البحث من تساؤل رئيس يتمثل في:

كيف تجلّت تجربة المنفى وتمثلات الاغتراب في ديوان «نقوش على جذع نخلة» ليحيى السماوي؟

وما الوسائل الفنية والجمالية التي وظّفها الشاعر للتعبير عن هذه التجربة؟ ويتفرع عن هذا التساؤل عدد من الأسئلة الفرعية، منها:

ما صورة الوطن في الديوان؟ وكيف أسهم المكان والذاكرة في تشكيل خطاب المنفى؟ وما مظاهر الاغتراب النفسي والسياسي والاجتماعي التي تجلت في النصوص الشعرية؟ وكيف انعكست هذه المظاهر في البنية الفنية واللغوية للقصائد؟

3-1 اهداف البحث

يهدف البحث إلى الكشف عن تمثلات المنفى وتجليات الاغتراب في ديوان «نقوش على جذع نخلة» للشاعر يحيى السماوي، وبيان أثرهما في تشكيل رؤيته الشعرية. كما يسعى إلى دراسة صورة المكان المفقود ودلالاته الرمزية في النصوص الشعرية، وتحليل مظاهر الاغتراب النفسي والسياسي والاجتماعي التي تجلت في الديوان. ويهدف كذلك إلى استجلاء دور الذاكرة والحنين في بناء تجربة المنفى، والكشف عن التقنيات الفنية والجمالية التي وظفها الشاعر للتعبير عن معاناته الإنسانية والوطنية.

4-1 اهمية البحث

تنبع أهمية البحث من تناوله موضوعاً يمثل إحدى القضايا المركزية في الشعر العراقي المعاصر، وهو موضوع المنفى والاغتراب، فضلاً عن ارتباطه بتجربة شعرية بارزة تمثلت في شعر يحيى السماوي. كما يسعى البحث إلى إبراز الأبعاد الفنية والجمالية لخطاب المنفى في الديوان، والكشف عن دور الصورة الشعرية والرمز والذاكرة في بناء تجربة الاغتراب، مما يسهم في إثراء الدراسات النقدية المتعلقة بالشعر العراقي الحديث.

5-1 منهجية البحث

أما منهجية البحث، فتعتمد المنهج الوصفي التحليلي ذي البعد النقدي الفني، من خلال قراءة النصوص الشعرية وتحليلها تحليلاً فنياً يكشف عن بنيتها الدلالية والجمالية، مع الإفادة من المنهج الموضوعاتي في تتبع ظاهرتي المنفى والاغتراب داخل الديوان، وربطهما بالسياقات النفسية والاجتماعية والسياسية التي أنتجت النص الشعري، وصولاً إلى استجلاء رؤية الشاعر وموقفه من الوطن والمنفى..

المبحث الأول : المنفى وتجليات المكان المفقود

يُعدُّ المكان أحد أهم العناصر المؤسسة للخطاب الشعري في أدب المنفى، إذ يتحول من كونه إطاراً جغرافياً إلى فضاء نفسي وثقافي تتشكل من خلاله هوية الإنسان وذاكرته. وقد أشار النقاد إلى أن تجربة المنفى تؤدي إلى إعادة إنتاج المكان داخل الوعي الشعري بوصفه رمزاً للانتماء المفقود والبحث الدائم عن الجذور (حجازي: 2005، 117). ومن هذا المنطلق يتخذ المكان في

ديوان نقوش على جذع نخلة أبعاداً رمزية تتجاوز حدود الوصف الخارجي لتصبح معادلاً فنياً لمعاناة الشاعر في غربته وحنينه إلى وطنه.

أولاً: صورة الوطن

يظهر الوطن في الديوان بوصفه صورة مثالية تستعاد عبر الذاكرة، إذ يلجأ الشاعر إلى استحضار ملامح العراق بوصفها بؤرة للطمأنينة والهوية في مواجهة قسوة المنفى. فالمنفى لا يكتفي بإبعاد الإنسان عن أرضه، بل يدفعه إلى إعادة بناء الوطن في مخيلته بصورة أكثر إشراقاً ونقاءً مما هو عليه في الواقع، وهي ظاهرة ترتبط بما يسميه النقاد "جمالية التذكر" التي تمنح المكان المستعاد قيمة رمزية مضاعفة (فضل: 1998، 86).

وتتجلى هذه الرؤية في كثافة حضور مفردات النخيل والفرات والطين والطفولة، إذ تتحول إلى علامات دالة على الوطن المفقود، وتغدو الذاكرة وسيلة للحفاظ على الهوية من التآكل. لذلك يبدو الوطن في النصوص فضاءً متخيلاً يحاول الشاعر الاحتماء به من الشعور بالعزلة والاقتلاع.

ويتجلى حضور الوطن بوصفه صورة مثالية تستعاد عبر الذاكرة في قول الشاعر:

"أنا بابلٌ... وأنا حرائقُها

ورمادُها... وشريدُها الأبدي

وأنا السَّماوةُ حيثُ نخلتُها

سَعَفٌ وعِذقٌ غيرُ مُنتضِدِ" (السماوي: 2006، 49-50).

يكشف هذا النص عن حالة التماهي الكامل بين الشاعر ووطنه، إذ لا يكتفي باستحضار الأمكنة العراقية بوصفها فضاءات جغرافية، بل يجعلها جزءاً من تكوينه النفسي والوجداني. فاستعمال ضمير المتكلم المتكرر في قوله: "أنا بابل"، "أنا السماوة" يؤكد اندماج الذات بالمكان حتى يصبح الوطن معادلاً موضوعياً للهوية الشخصية. كما أن استدعاء "بابل" يحيل إلى العمق الحضاري والتاريخي للعراق، في حين ترمز "السماوة" إلى الجذور الأولى والذاكرة الخاصة للشاعر.

وتبرز المفارقة الفنية في الجمع بين مفردات الانتماء والفقد؛ فبابل تقترن بـ"الحرائق" و"الرماد" و"الشريد"، مما يعكس شعور الشاعر بالألم تجاه ما أصاب وطنه، لكنه في الوقت نفسه يظل متمسكاً به بوصفه جزءاً من كيانه. وهكذا يتحول الوطن في النص إلى صورة مثالية تستعاد عبر الذاكرة لمواجهة قسوة المنفى، وتغدو عملية التذكر وسيلة للحفاظ على الهوية من الضياع والاقتلاع.

وتتجسد ثنائية الوطن والمنفى في قول الشاعر:

"الآنَ أبتدئُ الصِّبا ولو أنني

جاوزتُ خمسيناً من السنواتِ

أنا في السماوةِ... لن أكذِّبَ مقلتي" (السماوي: 2006، 67-68).

يكشف هذا النص عن لحظة عودة وجدانية إلى الوطن بعد طول اغتراب، إذ تتحول السماوة إلى فضاء لاستعادة الذات المفقودة. فالشاعر، على الرغم من تقدمه في العمر، يشعر بأنه يبدأ حياة جديدة بمجرد استعادة المكان الأول، وكأن الوطن يمتلك قدرة سحرية على تجديد الروح ومحو آثار الغربة. وتبرز ثنائية الوطن والمنفى من خلال المقابلة الضمنية بين سنوات الاغتراب التي استنزفت العمر، وبين لحظة الحضور في الوطن التي تمنحه الإحساس بالبدايات. كما أن تخصيص السماوة بالذكر يجعلها رمزاً للجذور والهوية، في مقابل المنفى الذي ارتبط بالفقد والتشظي. وهكذا تتجسد الثنائية في صورة صراع بين مكان يستعيد فيه الشاعر ذاته، وآخر أفقده الشعور بالاستقرار والانتماء.

ثانياً: دلالات بغداد والرصافة والفرات والسماوة

تحضر بغداد بوصفها رمزاً للحضارة العربية والإسلامية، غير أن الشاعر يرسم صورتها من خلال مفارقة تجمع بين أمجاد الماضي ومآسي الحاضر، إذ يقول:

"أَسَفي على بغدادَ... كيف غَدَتْ

سوقاً وأَنْجُمُ مجدِها سِلَعاً" (السماوي: 2006، 31).

وتكشف الصورة الشعرية هنا عن انزياح دلالي يجعل من بغداد رمزاً للانهيار الحضاري، فالشاعر لا يرثي المدينة بوصفها مكاناً فحسب، بل يرثي ما تمثله من تاريخ وقيم. وقد اعتمد أسلوب المفارقة بين المجد والانحدار لإبراز حجم الفاجعة التي أصابت الوطن.

أما الرصافة فتكتسب بعداً وجدانياً خاصاً، إذ ترتبط بذاكرة الحياة البغدادية وتفاصيلها الحميمة، فيقول:

"أما الرصافةُ فالجلوسُ إلى

شطآنِها يستنفرُ الهلعَا" (السماوي: 2006، 32).

وتكشف هذه الصورة عن تحول المكان من فضاء للألفة إلى فضاء للخوف، وهو تحول يعكس أثر الواقع السياسي والاجتماعي في تشويه صورة الوطن داخل الوعي الجمعي.

ويحضر الفرات بوصفه رمزاً للحياة والخصب والاستمرارية التاريخية، لكن الشاعر يعمد إلى تحميله دلالات مأساوية حين يقول:

"أنَّ الفراتَ ونخلَهُ افْتُرِعا" (السماوي: 2006، 30).

فالفعل (افتُرع) ينقل الفرات من دائرة القداسة والخصب إلى دائرة الانتهاك والعدوان، وهو ما يعمق الشعور بالمأساة الوطنية ويمنح المكان بعداً رمزياً يتجاوز معناه المباشر.

أما السماوة، مسقط رأس الشاعر، فتظهر بوصفها امتداداً للذات، إذ يقول:

"وأنا السماوةُ حيث نخلتُها

سَعَفٌ وعِذْقٌ غيرُ مُنتضِدِ" (السماوي: 2006، 50).

وفي هذا السياق يذوب الحد الفاصل بين الشاعر والمكان، فتصبح السماوة معادلاً موضوعياً لهويته الشخصية، الأمر الذي يجعل فقدانها أو الابتعاد عنها نوعاً من اغتراب الذات عن نفسها.

ثالثاً: الحنين واستعادة الذاكرة

يؤدي الحنين دوراً محورياً في بناء تجربة المنفى داخل الديوان، إذ تتحول الذاكرة إلى وسيلة لمقاومة النسيان واستعادة ما فقده الشاعر من أمكنة وعلاقات إنسانية. ويرى بعض النقاد أن الذاكرة في شعر المنفى لا تستعيد الماضي كما كان، بل تعيد تشكيله وفق حاجات الذات المغتربة (العلاق: 2002، 94).

ويتجلى ذلك في قوله:

"مذعورةً مرّت على شباك ذاكرتي الطفولةُ

مذعورةً مرّت طيورُ يفاعتي" (السماوي: 2006، 34).

إن تكرار لفظة (مذعورة) يضفي على المشهد طابعاً مأساوياً، ويكشف عن أن الماضي نفسه لم يعد بمنأى عن الخوف والاضطراب. فالطفولة التي يُفترض أن تكون رمزاً للبراءة تظهر هنا محاطة بمشاعر القلق، الأمر الذي يعكس حجم الخراب الذي أصاب الذاكرة الجمعية للعراقيين.

رابعاً: ثنائية الوطن والمنفى

يقوم البناء الدلالي للديوان على ثنائية الوطن والمنفى بوصفها ثنائية مركزية تتحكم في حركة النصوص الشعرية. فالوطن يمثل الحضور والهوية والجذور، بينما يمثل المنفى الغياب والاقتلاع والتشظي. وقد أشار النقاد إلى أن هذه الثنائية تشكل إحدى السمات البارزة في شعر المنفى العربي المعاصر (إسماعيل: 1994، 211).

وتنعكس هذه الثنائية في عدد كبير من النصوص التي تجمع بين استدعاء الوطن والتعبير عن استحالة العودة إليه بصورته السابقة. لذلك لا يبدو المنفى عند السماوي مجرد ابتعاد مكاني، بل يتحول إلى حالة وجودية دائمة يعيشها الإنسان حتى داخل وطنه عندما يفقد الشعور بالأمان والانتماء.

وبـذلك اسـتطاع يحيـى السـماوي أن يجعـل المكـان محـوراً أساسـياً فـي تشـكيل تجربتـه الشـعرية، محـولاً بغـداد والرصـافة والفـرات والسـماوة إلـى رمـوز فنيـة تعبـر عـن معانـاة المنفـى والحنـين والبحـث المسـتمر عـن الهويـة، وهـو مـا مـنح الـديوان عمقـاً إنسـانياً وجماليـاً ينسـجم مـع طبيعـة التجربة الشعرية الحديثة.

وتتجسد ثنائية الوطن والمنفى بوضوح في قول الشاعر:

"للموحشاتِ أكنتُ مغترباً

دامي الخطى... أو كنتُ في بلدي" (السماوي: 2006، 45).

يختـزل هـذا الـنص جـوهر تجربـة المنفـى عنـد يحيـى السـماوي، إذ يطـرح الشـاعر سـؤالاً وجودياً يكشـف تـداخل الـوطن والمنفـى فـي وعيـه النفسـي. فـالاغتراب لـم يعـد مرتبطـاً بـالخروج مـن الـوطن أو الابتعـاد عنـه مكانيـاً، وإنمـا أصـبح حالـة شـعورية ملازمـة للـذات حتـى وهـي داخـل الـوطن. وتكشـف المقابلـة بـين لفظتـي «مغتربـاً» و«بلـدي» عـن انهيـار الحـدود الفاصـلة بـين المكـانين، إذ يتحـول الـوطن نفسـه إلـى فضـاء للوحشـة وفقـدان الأمـان نتيجـة مـا أصـابه مـن خـراب وتحولات قاسية.

وتتعزز هذه الثنائية في قوله:

"أنا بابلٌ... وأنا حرائقُها

ورمادُها... وشريدُها الأبدي" (السماوي: 2006، 49).

فالشـاعر يجمـع بـين رمـزي الـوطن والمنفـى فـي صـورة واحـدة؛ إذ تمثـل «بابـل» الـوطن بتاريخهـا الحضـاري العريـق، بينمـا تمثـل مفـردات «الحرائـق» و«الرمـاد» و«الشـريد» معـاني الضـياع والاقـتلاع التـي يفرضـها المنفـى. ومـن خـلال هـذا التـداخل بـين الانتمـاء والتشـرد تتجسـد ثنائيـة الـوطن والمنفـى بوصـفها محـوراً أساسـياً فـي التجربـة الشـعرية، حيـث يصـبح الـوطن حاضـراً في الذاكرة وغائباً في الواقع، ويغدو المنفى قدراً وجودياً يلازم الشاعر أينما كان.

المبحث الثاني : الاغتراب النفسي وتمزق الذات

يُعـدُّ الاغتـراب النفسـي مـن أبـرز الظـواهر التـي شـكّلت تجربـة يحيـى السـماوي الشـعرية فـي ديـوان نقـوش علـى جـذع نخلـة، إذ تبـدو الـذات الشـعرية واقعـةً تحـت ضـغط المنفـى ومـا خلّفـه مـن شـعور بالفقـد والاقـتلاع والانكسـار. فـالمنفى لا يقتصـر علـى الابتعـاد المكـاني عـن الـوطن، بـل يمتـد ليحـدث شـرخاً داخليـاً فـي بنيـة الـذات، فتغـدو ممزقـة بـين مـاضٍ تتشـبث بـه وواقـعٍ عـاجز عـن تحقيـق الطمأنينـة. وقـد ارتـبط هـذا النـوع مـن الاغتـراب بحالـة القلـق الوجـودي التـي تميـز الإنسـان المعاصـر حين يشعر بفقدان الانسجام مع ذاته ومحيطه (حجازي: 2005، 43).

أولاً: الانكسار النفسي وألم الفقد

تظهـر الـذات الشـعرية فـي الـديوان مثقلـة بالإحبـاط وخيبـة الأمـل نتيجـة مـا آلـت إليـه أوضـاع الـوطن. ويكشـف الشـاعر عـن هـذا الانكسـار مـن خـلال صـور شـعرية مشـبعة بـالحزن والأسـى، إذ يقول:

"لا تسأليه الصبر لو جزعا

مما رأى... بغدادُ... أو سمعا" (السماوي: 2006، 25).

فالصبر هنا لم يعد قادراً على مواجهة حجم المأساة، لذلك جاء الفعل (جزع) ليعكس انهيار قدرة الذات على الاحتمال. كما أن تعليق الجملة بين نقاط الحذف بعد لفظة (بغداد) يوحي بعجز اللغة نفسها عن استيعاب حجم الألم.

ويزداد هذا الإحساس بالانكسار حين يقول:

"زار الديار ضحىً فأرعبهُ

أنَّ الفراتَ ونخلَهُ افْتُرِعا" (السماوي: 2006، 30).

فالصورة هنا لا تعبّر عن خراب المكان فحسب، بل عن انهيار الصورة المثالية التي احتفظ بها الشاعر في ذاكرته، الأمر الذي يولد صدمة نفسية عميقة.

ثانياً: الشعور بالوحدة والعزلة

تشكل الوحدة إحدى النتائج المباشرة للاغتراب النفسي، إذ يشعر الشاعر بأنه منفصل عن محيطه وعن عالمه القديم. وتتجسد هذه الحالة في قوله:

"للموحشاتِ أكنتُ مغترباً

دامي الخطى... أو كنتُ في بلدي" (السماوي: 2006، 45).

تكمن قوة الصورة في أن الاغتراب لم يعد مرتبطاً بالمكان؛ فالشاعر يتساءل إن كان مغترباً حتى وهو داخل وطنه. وهذا يدل على تحوّل الاغتراب إلى حالة نفسية دائمة.

كما يقول:

"أنا قيسُكِ المطرودُ... خيمتُهُ

بين الخيامِ يتيمةُ الوتدِ" (السماوي: 2006، 46).

وتعكس صورة "يتيمة الوتد" شعوراً بالغ الوحدة والضياع، إذ تصبح الخيمة رمزاً للذات التي فقدت سندها واستقرارها.

ويقول أيضاً:

"ومضت فعاد نزيلَ وحشتِهِ

طفلاً تهدهده يدُ الرغدِ" (السماوي: 2006، 47).

فالوحدة هنا ليست حالة عابرة، بل قدرٌ يلاحق الذات حتى في أحلامها.

ثالثاً: انشطار الذات وتمزق الهوية

مـن أبـرز مظـاهر الاغتـراب النفسـي فـي الـديوان انقسـام الـذات بـين صـورتين متناقضـتين: صـورة الماضـي المشـرق وصـورة الحاضـر المثقـل بـالخراب. ويتجسـد هـذا الانشـطار بوضـوح فـي قوله:

"وأنا مررتُ عليَّ... بِتُّ اثنينِ:

صحراءُ... وسنبلةٌ عليلة" (السماوي: 2006، 34).

يُعـد هـذا الـنص مـن أهـم النصـوص الدالـة علـى تمـزق الـذات؛ فالشـاعر لـم يعـد كيانـاً موحـداً، وإنمـا أصـبح ذاتـين متصـارعتين. وترمـز الصـحراء إلـى الجفـاف والوحشـة، فـي حـين ترمـز السـنبلة إلـى الحياة والخصب، مما يعكس الصراع الداخلي بين اليأس والأمل.

ويقول كذلك:

"أنا أنتَ... حدقْ بي تجدكَ على

شفتيَّ مكتوباً... وفي كبدي" (السماوي: 2006، 48).

ثم يتابع:

"أنا أنتَ... فتشني تجدْ بدمي

ما فيكَ من جمرٍ ومن بردِ" (السماوي: 2006، 48).

وتكشـف هـذه البنيـة الحواريـة عـن تشـظي الـذات وانقسـامها إلـى طـرفين متقـابلين يتحـاوران داخـل النص، الأمر الذي يعكس حالة نفسية مضطربة ناجمة عن الاغتراب.

رابعاً: القلق الوجودي واستشراف المصير

يـرتبط الاغتـراب النفسـي عنـد السـماوي بقلـق وجـودي عميـق يتمثـل فـي التسـاؤل عـن معنـى الحيـاة والمصير الإنساني وسط عالم مضطرب. ويتجلى ذلك في قوله:

"يا حزنَ ماضي العمرِ يا أبتِ

يا صبرَ باقي العمرِ يا ولدي" (السماوي: 2006، 46).

فالشاعر يقف بين ماضٍ موجع ومستقبل مجهول، مما يولد شعوراً دائماً بالقلق وعدم اليقين.

كما يقول:

"هل تسألين الآن كيف أنا؟

أنا في الهوى: بددٌ على بددِ" (السماوي: 2006، 50).

وتحمـل عبـارة "بـدد علـى بـدد" دلالـة قويـة علـى التشـظي الوجـودي، إذ لـم يعـد الشـاعر قـادراً على الإمساك بمركز ثابت لهويته أو حياته.

وفي موضع آخر يقول:

"يمتارُ من جمرٍ ومن كمدٍ" (السماوي: 2006، 47).

فـالجمر والكمـد يشـكلان معجمـاً دلاليـاً متكـرراً فـي الـديوان، يعبـر عـن الاحتـراق النفسـي المستمر الذي تعيشه الذات المغتربة.

خامسا : الحنين بوصفه تعبيراً عن الاغتراب

يتحـول الحنـين فـي الـديوان إلـى حالـة نفسـية ملازمـة للـذات، فهـو لـيس مجـرد تـذكر للماضـي، بـل شـعور دائـم بالفقـد. ويتجلـى ذلـك فـي استحضـار الشـاعر المسـتمر للأمكنـة والأشـخاص الـذين تـركهم خلفه.

يقول:

"ودّعتُها قسراً فودّعني

قلبٌ أبى من بعدها متعاً" (السماوي: 2006، 32).

ويقول أيضاً:

"شيخَ المشوقِ بغربتيهِ" (السماوي: 2006، 27).

فالغربة هنا مزدوجة: غربة المكان وغربة النفس، وهو ما يضاعف من حجم المعاناة الوجدانية.

يتبـين مـن خـلال النصـوص السـابقة أن الاغتـراب النفسـي يشـكل المحـور الأسـاس فـي تجربـة يحيـى السـماوي الشـعرية، إذ تجسـد عبـر صـور الانكسـار والوحـدة وانشـطار الـذات والقلـق الوجـودي والحنـين الـدائم إلـى الـوطن. وقـد اسـتطاع الشـاعر توظيـف الصـورة الشـعرية والمفارقـة والتكـرار والرمـز لتجسـيد هـذه المعانـاة، ممـا مـنح قصـائده بعـداً إنسـانياً عميقـاً وجعـل تجربـة المنفـى تجربةً وجودية تتجاوز حدود المكان إلى أعماق النفس البشرية.

المبحث الثالث : الاغتراب السياسي والاجتماعي وتمثلات الخراب العراقي

يُعـدُّ الاغتـراب السياسـي والاجتمـاعي مـن أبـرز تجليـات المنفـى فـي شـعر يحيـى السـماوي، إذ لـم تقتصـر تجربـة الاغتـراب عنـده علـى الشـعور النفسـي الفـردي، بـل امتـدت لتشـمل الواقـع العراقـي بكـل مـا شـهده مـن اسـتبداد سياسـي واحـتلال أجنبـي وتفكـك اجتمـاعي وانهيـار لمنظومـة القـيم. ولـذلك جـاءت قصـائد ديـوان نقـوش علـى جـذع نخلـة حافلـة بصـور الاحتجـاج والـرفض وكشـف مظـاهر الخلـل التـي أصـابت المجتمـع العراقـي. وقـد ارتـبط هـذا النـوع مـن الاغتـراب بإحسـاس الفـرد بـالعجز عـن الانسـجام مـع واقعـه السياسـي والاجتمـاعي نتيجـة فقـدان العدالـة والأمـن والاسـتقرار (حجـازي: 2005، 78).

أولاً: الاغتراب داخل الوطن

مـن أخطـر صـور الاغتـراب أن يشـعر الإنسـان بالغربـة وهـو فـي وطنـه، إذ يتحـول الـوطن مـن فضـاء للانتمـاء إلـى فضـاء للقهـر والخـوف. وقـد عبّـر السـماوي عـن هـذه الحالـة مـن خـلال تصـوير الواقع العراقي بوصفه عالماً مقلوب القيم والمعايير.

يقول:

"في وطنِ النخيلْ

الناسُ صنفانِ... فأما قاتلٌ مستأجرٌ

أو مؤجرٌ قتيلْ" (السماوي: 2006، 52).

تكشـف هـذه الصـورة عـن حالـة التفكـك الاجتمـاعي التـي جعلـت الإنسـان العراقـي محاصـراً بـين العنـف والمـوت. كمـا أن المفارقـة القائمـة بـين "القاتـل" و"القتيـل" تعكـس اختـزال المجتمـع فـي دائـرة الصراع الدموي.

ويقول أيضاً:

"في وطنِ النخيلْ

يحقُّ للمحتلِّ أن يصادرَ الإرادةْ" (السماوي: 2006، 53).

فـالوطن هنـا لـم يعـد فضـاءً للحريـة، بـل أصـبح مكانـاً تُسـلب فيـه إرادة الإنسـان وحقـه فـي تقريـر مصيره، الأمر الذي يعمق الشعور بالاغتراب داخل الوطن نفسه.

ثانياً: نقد السلطة والاستبداد السياسي

يحتـل نقـد السـلطة مسـاحة واسـعة مـن الـديوان، إذ يـرى الشـاعر أن الاسـتبداد كـان مـن أهـم أسـباب المأسـاة العراقيـة. لـذلك جـاءت نصوصـه محملـة بلغـة احتجاجيـة تكشـف فسـاد السـلطة وتحولهـا إلـى أداة لقمع الإنسان.

في قصيدة "أصل الداء" يقول:

"أمراضكم جميعها مصدرها:

جرثومةُ الكرسيّ في مستنقعِ الرئاسةْ" (السماوي: 2006، 24).

اعتمـد الشـاعر هنـا صـورة رمزيـة تقـوم علـى تشـبيه السـلطة بالجرثومـة، فـي إشـارة إلـى كونهـا سـبباً لانتشـار الفسـاد والأمـراض الاجتماعيـة والسياسـية. وتمـنح هـذه الصـورة الـنص بعـداً نقـدياً حـاداً يحمّل السلطة مسؤولية الخراب العام.

كما يقول:

"فتارةً أشعرُ أن بلدتي مئذنةٌ

ترشُّنا بالنورِ والأريجِ

وتارةً أخالها إذاعةً

تنهى عن المعروفِ

أو تأمرُ بالمنكرِ" (السماوي: 2006، 20).

وتقوم المفارقة هنا على التضاد بين صورة المئذنة المرتبطة بالهداية وصورة الإذاعة التي تبث التضليل، بما يعكس اختلال المعايير وانقلاب القيم في الواقع السياسي.

ثالثاً: الاحتلال وتجليات الخراب الوطني

شكّل الاحتلال الأمريكي للعراق محوراً أساسياً في تجربة السماوي الشعرية، إذ ارتبط في وعيه بخراب المدن وسفك الدماء وتفكك النسيج الوطني. ولذلك اتخذت قصائده طابعاً مقاوماً يرفض الاحتلال وكل من تعاون معه.

يقول:

"فاخرجوا من وطني...

خوذةُ المحتلِّ لا يمكن أن تصبحَ عشاً للحمامْ" (السماوي: 2006، 8).

تعتمد الصورة على مفارقة دلالية بين الحرب والسلام، إذ يستحيل أن تتحول أداة القتل إلى رمز للطمأنينة. ومن خلال هذه المفارقة يؤكد الشاعر رفضه لأي محاولة لتجميل صورة الاحتلال.

ويقول أيضاً:

"فاخرجوا من وطني...

والدمُ المسفوحُ لن يصبحَ أزهارَ خزامْ" (السماوي: 2006، 8).

فالصورة الشعرية تقوم على نفي إمكانية تحويل المأساة إلى إنجاز، وهو موقف يكشف رؤية الشاعر الناقدة للخطابات السياسية التي حاولت تبرير الاحتلال.

كما يقول:

"وامنحونا فرصةَ الدفنِ لموتانا

وأن نخرجَ من تحت الركامِ

جثثاً ما بلغتْ عمرَ الفطامْ" (السماوي: 2006، 11).

وتُعد هذه الصورة من أكثر صور الديوان مأساوية، إذ يستثمر الشاعر براءة الطفولة للكشف عن حجم الكارثة الإنسانية التي خلفتها الحروب.

رابعاً: انهيار القيم الاجتماعية

لم يقتصر الخراب على الجانب السياسي، بل امتد إلى البنية الأخلاقية والاجتماعية للمجتمع. ولذلك يرصد الشاعر تحولات الإنسان العراقي في ظل الأزمات والحروب وصعود المصالح الشخصية.

يقول:

"باع العراقَ بنوهُ

واستلم السماسرةُ العمولةْ" (السماوي: 2006، 36).

وتكشف هذه الصورة عن خيبة الشاعر من بعض أبناء الوطن الذين أسهموا في تعميق أزمته، فجاء التعبير مكثفاً وحاداً ليعكس حجم الصدمة الأخلاقية.

وفي قصيدة "جلالة الدولار" يقول:

"جلالةُ الدولارْ

حاكمُنا الجديدُ... ظلُّ الله فوق الأرضِ" (السماوي: 2006، 62).

ويقول أيضاً:

"جلالةُ الدولارْ

في ساعة الحسابِ يبقى وحدهُ

الصانعَ للقرارْ" (السماوي: 2006، 64).

يعتمد الشاعر أسلوب السخرية والمفارقة في تصوير هيمنة المال على القرار السياسي والاجتماعي، حيث يتحول الدولار إلى سلطة مطلقة تتحكم بمصائر الناس. وبهذا يكشف عن انهيار القيم الإنسانية أمام سطوة المصالح المادية.

خامساً: صورة الخراب العراقي

تتجمع مظاهر الاغتراب السياسي والاجتماعي في صورة كلية للخراب العراقي الذي يهيمن على فضاء الديوان. فالشاعر لا يرثي مدينة أو مرحلة زمنية محددة، بل يرثي وطناً بأكمله.

يقول:

"أنا بابلٌ... وأنا حرائقُها

ورمادُها... وشريدُها الأبدي" (السماوي: 2006، 49).

فالشاعر هنا لا يكتفي بوصف الخراب، بل يتماهى معه حتى يصبح جزءاً من هويته. وتكشف هذه الصورة عن اندماج المأساة الوطنية بالمأساة الذاتية.

كما يقول:

"تجد الخرابَ البابليَّ على

وجهي وذعرَ العاشقِ الأكدي" (السماوي: 2006، 49).

وفي هذا النص يتحول الجسد إلى مرآة للتاريخ العراقي بكل ما يحمله من جراح وآلام، الأمر الذي يمنح الخراب بعداً حضارياً وإنسانياً يتجاوز اللحظة الراهنة.

يتضح من خلال النصوص السابقة أن الاغتراب السياسي والاجتماعي يمثل بعداً أساسياً في تجربة يحيى السماوي الشعرية، إذ ارتبط بنقد الاستبداد والاحتلال وكشف مظاهر التفكك الاجتماعي وانهيار القيم. وقد استطاع الشاعر توظيف المفارقة والسخرية والرمز والصورة الشعرية في بناء خطاب احتجاجي يكشف مأساة الإنسان العراقي ويجسد حالة الخراب التي أصابت الوطن. كما أسهم تداخل الاغتراب السياسي مع الاغتراب النفسي في منح الديوان وحدة فنية ودلالية جعلت من تجربة المنفى تجربة شاملة تمس الذات والوطن معاً.

الخاتمة

بعد دراسة موضوع المنفى وتمثلات الاغتراب في ديوان «نقوش على جذع نخلة» للشاعر يحيى السماوي، تبيّن أن تجربة المنفى شكّلت محوراً أساسياً في بناء الرؤية الشعرية للديوان، وأنها لم تقتصر على معناها المكاني المرتبط بالابتعاد عن الوطن، بل تحولت إلى تجربة وجودية شاملة انعكست في مختلف مستويات النص الشعري. وقد استطاع الشاعر أن يحوّل معاناته الشخصية ومعاناة الإنسان العراقي إلى خطاب شعري يجمع بين البعد الذاتي والبعد الجمعي، فغدت قصائده سجلاً فنياً لمعاناة المنفى وما يرافقها من اغتراب نفسي وسياسي واجتماعي.

كما كشفت الدراسة عن الدور المحوري للمكان في تشكيل تجربة المنفى، إذ تحولت بغداد والرصافة والفرات والسماوة إلى رموز دلالية مكثفة استوعبت مشاعر الحنين والذاكرة والانتماء. وفي الوقت نفسه برز الاغتراب النفسي من خلال صور الانكسار والوحدة وتمزق الذات والقلق الوجودي، مما أضفى على النصوص بعداً إنسانياً عميقاً. أما الاغتراب السياسي والاجتماعي فقد تجسد في نقد السلطة والاستبداد والاحتلال، ورصد مظاهر الخراب التي أصابت الوطن، الأمر الذي منح الديوان طابعاً احتجاجياً واضحاً.

وقد اعتمد السماوي في التعبير عن هذه الرؤية على مجموعة من الوسائل الفنية والجمالية، منها الرمز والمفارقة والتكرار والتناص والصورة الشعرية، فضلاً عن توظيف الذاكرة بوصفها أداة فنية لاستعادة الوطن ومواجهة قسوة المنفى. ومن ثمّ نجح الشاعر في تقديم تجربة شعرية تجمع بين صدق المعاناة وعمق الرؤية وجمالية التعبير، مما جعل ديوان نقوش على جذع نخلة واحداً من النصوص المهمة التي عبّرت عن مأساة الإنسان العراقي في زمن المنفى والاغتراب.

النتائج

١- تبيّن أن المنفى يمثل المحور الرئيس الذي انتظمت حوله موضوعات ديوان نقوش على جذع نخلة، وأنه شكّل منطلقاً لرؤية الشاعر الفكرية والفنية.
٢- كشف البحث أن الاغتراب في الديوان لم يقتصر على الاغتراب المكاني، بل اتسع ليشمل الاغتراب النفسي والسياسي والاجتماعي.
٣- احتل المكان مساحة واسعة في النصوص الشعرية، وتحولت الأمكنة العراقية، ولا سيما بغداد والفرات والسماوة والرصافة، إلى رموز للهوية والذاكرة والانتماء.
٤- أسهم الحنين واستعادة الذاكرة في تشكيل البنية الدلالية للقصائد، إذ مثّلا وسيلة لمقاومة الشعور بالفقد والاقتلاع.
٥- تجلّى الاغتراب النفسي في صور الانكسار والوحدة والقلق الوجودي وانشطار الذات، مما عكس حجم المعاناة التي خلّفتها تجربة المنفى.
٦- أظهرت الدراسة أن الشاعر عبّر عن اغترابه السياسي من خلال نقد الاستبداد والاحتلال وفضح مظاهر الفساد وتدهور الواقع العراقي.

٧- كشفت النصوص عن حضور واضح للاغتراب الاجتماعي الناتج عن انهيار منظومة القيم وتفكك العلاقات الإنسانية في ظل الأزمات السياسية والحروب.
٨- اعتمد الشاعر على المفارقة الفنية بوصفها أداة تعبيرية فاعلة في إبراز التناقض بين الوطن المتخيَّل والوطن الواقعي.
٩- شكّلت الصورة الشعرية والرمز والتكرار والتناص عناصر فنية أساسية أسهمت في بناء خطاب المنفى والاغتراب داخل الديوان.
١٠- أكدت الدراسة أن تجربة يحيى السماوي في هذا الديوان تجاوزت حدود التجربة الفردية لتتحول إلى تعبير شعري عن معاناة الإنسان العراقي والعربي في مواجهة المنفى والاقتلاع والخراب.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، عبد الله .المركزية الغربية: إشكالية التكوين والتمركز حول الذات .بيروت: المركز الثقافي العربي، 1997.
- إسماعيل، عز الدين .الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية .القاهرة: دار الفكر العربي، 1994.
- السامرائي، إبراهيم .دراسات في الشعر العراقي الحديث .بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1987.
- السماوي، يحيى .نقوش على جذع نخلة .ط1، أستراليا: دار الإبداع الدولي للنشر والتوزيع، 2006.
- زيعور، علي .الاغتراب والقلق الحضاري .بيروت: دار الطليعة، 1980.
- عباس، إحسان .اتجاهات الشعر العربي المعاصر .بيروت: دار الثقافة، 1978.
- عبد الحميد، شاكر .عصر الصورة: الإيجابيات والسلبيات .الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2005.
- العلاق، علي جعفر .الشعر والتلقي: دراسات نقدية .بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2002.
- العلاق، علي جعفر .في حداثة النص الشعري .عمّان: دار الشروق، 2003.
- فضل، صلاح .بلاغة الخطاب وعلم النص .الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1992.
- فضل، صلاح .أساليب الشعرية المعاصرة .القاهرة: دار الشروق، 1998.
- حجازي، مصطفى .الاغتراب في الشخصية العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع .الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005.
- حمودة، عبد العزيز .المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك .الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1998.
- حمودة، عبد العزيز .المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية .الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2001.
- مرتاض، عبد الملك .تحليل الخطاب الشعري .الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
- مرتاض، عبد الملك .نظرية النص الأدبي .الجزائر: دار هومة، 2007.
- مفتاح، محمد .تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص .الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1992.
- نوفل، يوسف .بنية القصيدة العربية الحديثة .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

References

- Abbas, Ihsan. *Trends of Contemporary Arabic Poetry*. Beirut: Dar Al-Thaqafa, 1978.
- Abd Al-Hamid, Shakir. *The Age of the Image: Positives and Negatives*. Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters, 2005.
- Al-Alaq, Ali Jaafar. *Poetry and Reception: Critical Studies*. Baghdad: Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiyya Al-'Amma, 2002.
- Al-Alaq, Ali Jaafar. *On the Modernity of the Poetic Text*. Amman: Dar Al-Shorouk, 2003.
- Al-Samawi, Yahya. *Nuqoosh Ala Jith'i Nakhla (Inscriptions on the Trunk of a Palm)*. 1st ed. Australia: Dar Al-Ibda' Al-Dawli, 2006.
- Al-Samarrai, Ibrahim. *Studies in Modern Iraqi Poetry*. Baghdad: Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiyya Al-'Amma, 1987.
- Fadl, Salah. *The Rhetoric of Discourse and Text Linguistics*. Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters, 1992.
- Fadl, Salah. *Styles of Contemporary Poetics*. Cairo: Dar Al-Shorouk, 1998.
- Hamouda, Abdel Aziz. *The Convex Mirrors: From Structuralism to Deconstruction*. Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters, 1998.
- Hamouda, Abdel Aziz. *The Concave Mirrors: Towards an Arab Critical Theory*. Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters, 2001.
- Hijazi, Mustafa. *Alienation in the Arab Personality: The Labyrinths of Man between Dream and Reality*. Casablanca: Arab Cultural Center, 2005.
- Ibrahim, Abdullah. *Western Centralism: The Problem of Formation and Self-Centrism*. Beirut: Arab Cultural Center, 1997.
- Ismail, Ezz El-Din. *Contemporary Arabic Poetry: Its Issues and Artistic and Intellectual Phenomena*. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1994.
- Miftah, Mohammed. *Analysis of Poetic Discourse: The Strategy of Intertextuality*. Casablanca: Arab Cultural Center, 1992.
- Murtad, Abdelmalek. *Analysis of Poetic Discourse*. Algiers: University Publications Bureau, 1995.
- Murtad, Abdelmalek. *Theory of the Literary Text*. Algiers: Dar Houma, 2007.
- Nofal, Youssef. *The Structure of the Modern Arabic Poem*. Cairo: Egyptian General Book Organization, 1998.
- Zaiour, Ali. *Alienation and Civilizational Anxiety*. Beirut: Dar Al-Tali'a, 1980.